M.S.A.R
Journal of Media Studies and Research
Vol. 4 , No. 13, pp. 1–10; E-ISSN: 2308-0728, P-ISSN: 2957-966X
DOI: https://doi.org/10.58564/MSAR

تجديد مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال في "تحليل وتقييم للمناهج السائدة الفضاء الرقمي والتحولات الابستمولوجية"

Renewal of research curricula in information and communication sciences in the digital space"Analysis and evaluation of prevailing approaches and epidemiological transformations

د.شادلي عبدالحق ،
باحث في علوم الإعلام والاتصال
جامعة د.الطاهر مولاي سعيدة/الجزائر

Dr. Shadli Abdel Haq,
Researcher in media and communication sciences
Dr. Tahar Moulay Saida University/Algeria

الخلاصة

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة سؤال المنهج في بحوث الإعلام والاتصال داخل الفضاء الرقمي، والوقوف على مختلف التصورات والمفاهيم التي تبلورت في إطار النقاشات البحثية الراهنة، وطبيعة المنهج أو المناهج السائدة، داخل الفضاء الرقمي، إذ تحاول هذه الدراسة أن تقارب إشكالية تجديد مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، في ظل التحولات الابستمولوجية التي عرفتها هذه العلوم وغيرها بظهور المجتمع الافتراضي. ذلك أن الشكل الذي استُدمجت به التكنولوجيا الحديثة في الحقبة المعاصرة جعلها تتحول إلى نمط عيش جديد، ظهرت معه ممارسات وأشكال اجتماعية جديدة....

ABSTRACT

This study seeks to deal with the methodology question in media and communication research within the digital space, and to stand on the various perceptions and concepts that have crystallized in the framework of the current research discussions, in addition to the nature of the prevailing methods or approaches within the digital space. Media and communication, in light of the epistemological transformations witnessed in these fields and other sciences with the emergence of the virtual society.

الكلمات المفتاحية:

بحوث الاعلام والاتصال ؛ الابستمولوجيا؛ البيئة الرقمية .

Keywords:

Media and communication research; epistemology; digital environment.

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
23/9/2023	25/12/2023	15/3/2023

*Corresponding Author Email: chadliabdelhak31@gmail.com

مقدمة :

تطرح إشكالية البحث داخل الفضاء الرقمي إشكالات عدة بالنظر إلى حداثة ميدان الدراسة، وخاصة المتعلق بشبكات التواصل الاجتماعي التي لم تحدد طبيعتها بعد بوصفها مجتمعا للدراسة إلا في النصف الثاني من العقد المنصرم، لذلك فإن حداثة عهد ميدان البحث، والإشكالات المطروحة داخله، وطبيعته الخاصة تجعل الباحث في علوم الإعلام والاتصال في مواجهة أسئلة عدة حول المنهجية الملائمة لدراسة الظواهر الإعلامية داخل البيئة الرقمية، خصوصا أن الإشكال الابستمولوجي للمناهج الكلاسيكية واعتمادها في بحوث الإعلام والاتصال لا زال قائما، كون هذه المناهج خاصة بتخصصات اجتماعية وإنسانية متعددة.

تكمن بذلك أهمية الدراسة في الإسهام في النقاش الأكاديمي الدائر حول منهجية البحث المرتبطة بالمجتمع الافتراضي، وذلك في ظل غياب إطار منهجي واضح ومحدّد يوجه الباحث الإعلامي في هذا الصدد، كما يأتي هذا الإسهام في وقت لم تنطلق فيه بشكل جدي الأبحاث الأكاديمية بعد حول قضايا المنهج الرقمي في البلدان العربية، ويعزى هذا التأخر في أساسه إلى غياب تراكم علمي كاف فيما يتعلق بالدراسات الخاص بالمجتمع الافتراضي، لذلك نستهدف من خلال هذا العمل فتح النقاش حول هذا الإشكال، والمساهمة في بلورت إطار منهجي للبحث في علوم الإعلام والاتصال في البيئة الرقمية.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولا: الإشكالية:

إن الإشكال الذي يطرح هنا هو: إذا كانت التكنولوجيا، ينظر إليها بوصفها شبكة، قد غيّرت من بنية العلاقات التواصلية الاجتماعية، فهل غيّرت أيضا من طبيعة المناهج التي وظّفت في دراسة وفهم هذه العلاقات في بحوث الإعلام والاتصال؟ وإن كانت غيّرت منها بالفعل، وجدّدت فيها، فكف يمكن فهم هذا التجديد؟ وكيف يمكن مقاربته؟ أبوصفه تجديداً جوهريا يمس قواعد البحث في علوم الإعلام والاتصال أم بوصفه تجديداً تقنيا يمس المفاهيم والأدوات التقنية لا القواعد؟ أم بوصفه تجديدا يؤسس للقطيعة الابستمولوجية مع المناهج المألوفة في مثل هذه العلوم أم بوصفه يقارب من منطلق التكييف؟

ثانيا: الهدف الأساسي للدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى مقاربة سؤال المنهج في بحوث الإعلام والاتصال داخل الفضاء الرقمي، والوقوف على مختلف التصورات والمفاهيم التي تبلورت في إطار النقاشات البحثية الراهنة، وطبيعة المنهج أو المناهج السائدة، داخل الفضاء الرقمي.

ثالثا: منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث على منهجية مركّبة في دراسته لإشكالية مهمة تتعلق بجانب مهم من جوانب البحث العلمي علوم الإعلام والاتصال، المتعلق بمقاربة سؤال المنهج في بحوث الإعلام والاتصال ، إذ أخذ بالأسلوب الوصفي في التطرق إلى أهم النقاط التي تضمنتها الدراسة، كما اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي التحليلي في مناقشة أهم الموضوعات الواردة في الدراسة، فقد استثمر الكثير من المصادر الورقية والإلكترونية.

المبحث الثاني: الإشكال الابستمولوجي لبحوث الإعلام والاتصال

لقد دلّت الابستمولوجيا، عبر كشفها عن الصدوع المعرفية ، في المنطق و المنهج و مصادر المعارف و المعارف على تعددها و تنوّع مشاربها ، أن التطور هو سمة العلم و المعرفة على حد سواء(١).

حيث تشير الخلفية الإبستيمية بالنسبة لأي علم في طور الظهور عادة بحصول تراكم معرفي كبير مما يؤدي إلى البحث لإيجاد أسس و قواعد لمعالجة بعض الظواهر العلمية المتكونة عن هذا التراكم ، و ذلك بالبحث عن مناهج و أدوات البحث لمعالجة هذا الكم المعرفي ، و بالتالي يكون الدافع هو محاولة دراسة هذه المعرفة العلمية المتكونة حيث يعرف بياجيه الابستمولوجيا : "بوصفها دراسة المعرفة و بوصفها محاولة لتوضيح المعرفة العلمية استنادا إلى تاريخها ، و إلى تكوينها الاجتماعي ، و إلى الأصول السيكولوجية للأفكار و العمليات التي تعتمد عليها بصفة خاصة"(٢).

إذ أن أي علم هو نتاج أفكار بشرية تأتي عبر مراحل تاريخية معرفية سواء أكانت متقاربة أو متباعدة لتشكّل الطريق لظهوره ، لأن العلم نتاج الفكر البشري نتاج يرعى قوانين فكرنا و يتكيف مع العالم الخارجي ، إن له إذن جانبين ، أحدهما ذاتي و الآخر موضوعي(٣).

و هذا هو حال علم الإعلام الذي مرّ بعدة مراحل معرفية اقترنت بتطور الفكر البشري حيث يحدد علماء الإعلام و خبراء الاتصال العصور الإعلامية الكبرى بأربعة :

١-عصر الكتابة : و فيه دوّن الإنسان معارفه بالكتابة على الورق.

٢-عصر الكتابة بالطباعة: و هو امتداد للعصر الأول، إذ أدى اختراع المطبعة الآلية في ألمانيا على يد غوتنبرغ عام ١٤٥٣ إلى انتشار المعرفة عبر الصحافة و الكتاب، و دخل الإنسان عصر الاتصال الجماهيري ، و ترتب على هذا العصر نتائج دينية و اجتماعية و ثقافية و علمية هائلة ، قضت بالانتقال من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة و بتصفية المجتمع القديم والانتقال إلى المجتمع الحديث

٣- مع ظهور التلغراف عام ١٨٣٥ ، بعد اكتشاف الكهرباء ، تحققت ثورة الإعلام الثالثة ، التي أدخلت الإعلام إلى بوابات العصر الإلكتروني، من خلال الراديو و التلفاز، فصار بإمكان الأميّ أن يتلقى الأخبار و المعلومات و المعرفة شفاهة.

٤-ظهور الثورة الرقمية أو المرحلة الرابعة في عصور الإعلام منذ التسعينات من القرن الماضي ، حيث مكنت دمج و ربط أجهزة الاتصال بعضها ببعض و أتاح الدمج مزج الصورة و الصوت و اللون ، بما أوصل إلى الإعلام الإلكتروني المتعدد الوسائط و بثه عبر الشبكة العنكبوتية ، و مكنت الرقمنة من حمل الصوت و الصورة و رموز الاتصال إلى أي مكان في العالم تتوفر فيه أجهزة الاستقبال و صار بالإمكان استخدام الإعلام الإلكتروني المتبلور حول شبكة الأنترنت ، مكتوبا أو مسموعا أو مرئيا(٤).

إن هذه التحولات المعرفية المقترنة أساسا بالتطور التقني الذي شهده الإعلام عبر العصور، قابلها بروز ظواهر إعلامية قابلة للدراسة و البحث، جعلت الحاجة ليصبح علما مثل سائر العلوم، و بالتالي أصبح موضوع علم

---

(١) حسن سعد، براديغمات البحوث الإعلامية(الإبستمولوجية –الإشكاليات- الاطروحات)، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠١٧م)، ص٢٠٧.

(٢) بياجيه جان، الإبستمولوجيا التكوينية ، ترجمة: السيّد نفادي ، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٤م)، ص١٣.

(٣)غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل العوا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ١٩٨٣م)، ص٥.

(٤) حسن سعد، مرجع سابق، ص٩٠.

الإعلام هو البحث في المهن الإعلامية ، لجهة ما يلحق بها من وسائل، و تقنيات ، ومرتكزات ، و أدوات نقل المعلومة أو الرسالة من مرسل إلى متلق ، و تأثيرات[١].

وبهذا أدت التصحيحات المعرفية التي تزامنت مع تطور الإعلام عبر مراحل ، و اقترانه بجملة من الوسائل و التقنيات المستخدمة، و التي أفرزت بدورها جملة من الظواهر القابلة للدراسة العلمية خاصة مع المرحلة الرابعة في عصور الإعلام ، ومع ذلك كله فإن كل مرحلة إعلامية جاءت لتصحيح المرحلة التي قبلها ، و حاجة كل مرحلة لسابقتها من أجل محاولة الوصول إلى النضوج المعرفي، حيث يؤكد باشلار دائما على ضرورة أن يقوم العقل العلمي بالمراجعة و النقد لما ينجزه ، أو بالأحرى للبناء المعرفي السابق عليه . تلك المراجعة –أو النقد- التي لا تكون أبدا كلية ، و إنما تحمل في طياتها مشكلات و تساؤلات جديدة ، تلك التي تكفل للعلم الانطلاق في طريقه الصاعد.[٢]

إن هذه النظرة التصحيحية للمعرفة العلمية ، أو بالأحرى المراجعة العلمية التي تمت بصورة تصاعدية في علم الإعلام من خلال الانتقال و التطور المعرفي (المرتبط بالتطور التقني) الحاصل من مرحلة إعلامية إلى أخرى ، و من عصر إعلامي لآخر ، حقق بما يسميه توماس كون ثورات علمية في ميدان الإعلام ، إذ المقصود بالثورات العلمية عند كون: أنها عبارة عن سلسلة من الأحداث التطورية غير التراكمية ، و فيها يحل نموذج إرشادي (براديغم) محل نموذج إرشادي(براديغم) قديم لأن هذا الأخير صار عاجزا عن إيجاد حلول للمشكلات القائمة أو الحاضرة ، فتاريخ العلم يؤكد أن الكثير من المعارف العلمية السابقة تتناقض مع المعارف العلمية الجديدة[٣].

و ازدادت حدة هذه الثورات العلمية في الإعلام خصوصا مع المرحلة الرابعة المذكورة آنفا حيث شهد الإعلام أوج تطوراته التقنية فيها ، أفرزت العديد من التأثيرات و الظواهر الإعلامية المختلفة مما دعت الحاجة إلى تكثيف البحوث الإعلامية بغرض إيجاد سبل علمية كفيلة بإيجاد إجابات مقنعة قصد معالجتها ، باستخدام مناهج و أدوات بحثية مختلفة.

و لما حصل بعض الشذوذ الذي تمثّل خاصة في عدم استقلالية علم الإعلام عن باقي العلوم الإنسانية من جهة النظريات الإعلامية ، و تقديرها غير السليم لدرجة التأثير الذي أحدثته وسائل الإعلام في الجمهور من جهة أخرى ،و بناء مفهوم غير علمي لهذا المصطلح (التأثير) في البحوث الإعلامية دون وعي أو دليل علمي ملموس ، بالمقابل ظهرت بعض المصطلحات المقاربة مثل كلمة انعكاس، أو علاقة أو محاكاة أو دور ، جعلت بدورها الإعلام يوصف بأنه علم غير سوي لِما أصابه من شذوذ ، خلق أزمة بين النظريات الإعلامية في بحثها عن التأثير

و الدليل على ذلك تنوع النظريات الإعلامية التي تطرقت لتأثير وسائل الإعلام عبر تدرج تاريخي بين التأثير المحدود إلى التأثير المعتدل ثم التأثير القوي، بالإضافة إلى أن كل النظريات و النماذج التي صيغت في مجال الإعلام لم تخرج عن إطار دراسات تأثير وسائل الإعلام على الجمهور، رغم انتقال البحوث من تأثير وسائل الإعلام على الجمهور إلى بحوث تأثير الجمهور على مضامين وسائل الإعلام، إلّا أن هذه الأبحاث لم تخرج هي الأخرى على إطار التأثير المتبادل بينهما (الجمهور- وسائل الإعلام) ، مما أصاب علم الإعلام بالانحصار

---

(١) المرجع نفسه، ص١١٦.

(٢)غادة الإمام، جاستون باشلار جماليات الصورة، (بيروت: التنوير للطباعة و النشر،٢٠١٠م)، ص٥٠.

(٣) توماس كون، بنية الثورات العلمية ، ترجمة: شوق جلال ، عالم المعرفة ، العدد:١٦٨، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ١٩٧٨م، ص١٣١ .

المعرفي تحت طائلة التأثير المتبادل، كما أن نظريات و نماذج التأثير عجزت على تحديد طبيعة التأثير و درجته مع ظهور الإعلام الجديد ، حيث صار المتلقي مرسلا و مستقبلا في نفس الوقت.

يرى كون أن الأزمات تنتهي بإحدى الطرق الثلاث، إما أن ينتهي العلم القياسي إلى إيجاد حل للمشكلة التي أثارت الأزمة ، إما أن تستعصي المشكلة على إيجاد حل لها ، و قد تنتهي الأزمة إلى ظهور نموذج إرشادي (براديغم) جديد، و إما يفقد العلماء الأمل في إيجاد حل لها ، و تقصى من مجال بحثهم ، فالحالة الشاذة تكون خطيرة عندما يعجز البراديغم القائم الاهتداء إلى حل لها ، إذ يعترف كون أنه ليس من البراديغمات التي تعد محور البحث العلمي أن تحل المشكلات العلمية حلا نهائيا ، قائلا : "فلا وجود للنظرية التي تحل جميع الألغاز التي تواجهها في وقت بذاته ، كما و أن الحلول التي لم يتم الوصول إليها ناذرا ما تكون حلولا كاملة"[١].

إن مثل هذه البراديغمات التي عجزت أن تحل المشكلات العلمية حلا نهائيا وجدت لها حضورا كذلك في علم الإعلام ،خاصة بعدما تبناها من العلوم الجديدة من الرياضيات ، و علم النفس و علم الاجتماع و الأنتروبولوجيا حيث يرى الدكتور حسن سعد أن هناك أربعة براديغمات مسيطرة في موضوعات الإعلام و الاتصال، لكنها ليست تامة و كاملة[٢]

١-البراديغم أو النموذج التحكمي (السيبرناطيقي)التوجهي.

٢-البراديغم السلوكي.

٣-البراديغم الوظيفي.

٤-البراديغم التأويلي.

و لكن هناك مشكلة إبستمولوجية عويصة صادفت تطور براديغمات الإعلام عموما ، ووقفت أمام وصفه كعلم مثل غيره من العلوم و لم يستطع الآخر تجاوزها ، و هذا راجع لأسباب وقفت أمام هذا التطور أهمها:

١-اعتبار الباحث الإعلامي نفسه كجزء من المشكلة الإعلامية، التي لا تخرج بدورها عن نطاق المشكلات الاجتماعية، والباحث الإعلامي باعتباره كائنا اجتماعيا، كدراسة تأثير وسائل الإعلام على سلوك الأفراد.

٢- تفرّد الظاهرة الإعلامية، باعتبارها جزء من الظواهر الإنسانية، و تحكّم الإرادة البشرية في وقائعها، و مهما قيل عن موضوعية، في هذا المجال، فإن ذاتية الظاهرة، و تشكّلها، لا يمكن القفز فوقها.

٣- لا يمكن إخضاع الظواهر الإعلامية للتجريب مثله مثل الظواهر الاجتماعية الأخرى[٣].

و يبقى العائق الإبستيمي الكبير الذي يقف أمام تطور علم الإعلام هو ارتباط الظاهرة الإعلامية بالنشاطات المتنوعة للإنسان و المجتمع جعلها موضع العديد من الاهتمامات العلمية .أي موزعة على أكثر من تخصص علمي.مما كان وراء مواجهتها لصعوبات كبيرة، تتمثل في الغموض المنهجي و النظري، الذي يعانيه علم الإعلام .هذا الغموض ، الذي تسبب في عدم إمكانية تحديد موضوعاتها بصورة مستقلة ، و إيجاد المناهج و الأدوات الخاصة بمعالجتها ، و بلورة النظريات ذات العلاقة ببحثها[٤].

---

(١) توماس كون، مرجع سابق، ص١١٨.

(٢) حسن سعد، مرجع سابق ، ص١٨٥.

(٣) حسن سعد، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٤) أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠١٠م)، ص٣٦.

المبحث الثالث: رؤية الباحث المنهجية

❖ **سؤال تجديد المنهج في بحوث الإعلام والاتصال في الفضاء الرقمي**

شهدت منهجية البحث في المجتمع الافتراضي نقاشا أكاديميا حاداً، وذلك في ظل غياب إطار منهجي واضح ومحدد يوجه الباحثون في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويُعزى هذا التأخر إلى غياب تراكم علمي ومعرفي كافٍ فيما يتعلق بالأبحاث والدراسات الخاصة بالفضاء الرقمي التي لم يبدأ البحث فيها إلا في العقد الأخير من هذا القرن، خصوصاً ما يتعلق بالتفاعلات الرقمية، إذ يوصف هذا الفضاء على أنه واقع عن بعد.(١)

ويوصف المجتمع الافتراضي بأنه: عالماً بينيّاً يتموقع بين المتخيل والفعلي، أو بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل، بلغة أرسطية، إذ لا يعرّف إلا من خلال مفهومي اللامجالية، والترحال الموضعي، حيث يتعلق الأمر بفضاء ذهني، مجرد، رمزي، وسيط، يؤشر إلى تشظي مفهوم المرجع الوحيد، إنه يقوم بذلك على أساس " اقتصاد تجربة الحضور الفعلي-الفيزيقي"، " عبر الوجود على نحو مشترك"، "من دون الوجود مع"، وبالتالي لا يتماهى الفضاء الرقمي مع الوجود الفعلي، لأنه لم يتحقق كليّاً، ولكنه في الحقيقة موجود حقيقةً، وقابل في أي لحظة أن يتحقق فعلياً(٢).

تتحدد مؤشرات هذا الوجود انطلاقاً من مفهوم الأثر الرقمي، فإذا تأملنا ماهية الفضاء الرقمي، فإننا سنجد أنه في النهاية، ليس سوى آثار رقمية يتركها الأفراد وراءهم بعد اجتماعهم على نحو افتراضي، أي لا نرى في الفضاء الرقمي، إلّا الرواسب الرقمية، ولا نستدل على حضور المستخدمين إلّا من خلال الأثر الذي يتركونه داخل مختلف المواقع والصفحات الالكترونية التي زاروها، والأنشطة التفاعلية التي انخرطوا فيها.

إن هذه الرواسب الرقمية هي التي أصبحت تمثل اليوم ما يسمى:" الوثائق الاجتماعية الجديدة"، وهو ما يعني أن الأمر لم يعد يتعلق بمجرد التواصل الافتراضي يزول أثره بمغادرة المبحر للشبكة، بل يتعلق بتفاعلات اجتماعية يؤدي منطق اشتغالها، وديمومتها إلى بناء "أرشيف حي" ، لذا، ما لبث الباحثون أن وجهوا اهتمامهم نحو هذه الوثائق الجديدة ، وعبّوا مناهجهم من أجل الاشتغال بها في الفضاء الرقمي.

تحيل هذه المناهج المعبأة على مفهوم المناهج الكلاسيكية المألوفة، والمقصود بها هنا مناهج البحث الكمية والكيفية التي لطالما اشتغل عليها الباحثين، في حين ظهرت إلى الوجود تقنيات البحث الخاصة بمعالجة المعطيات الكمية والكيفية التي وُلِدت داخل بيئة رقمية تسمى بالمناهج الرقمية.

إذا كان الفضاء الرقمي قد تحول إلى أرشيف لـ "التجارب الموثقة" حيث يحكي الناس تجاربهم الشخصية، ويعْرِضون تصوراتهم حول قضايا الوجود الإنساني، وبقدر ما حظي سؤال كيفية استخدام شبكة الإنترنت باهتمام الباحثين منذ فترة الثمانينيات مع بداية الإنترنت فإن سؤال المنهج لم يلبث، هو الآخر، أن مثّل موضوعاً للنقاشات الدائرة داخل سوسيولوجيا الفضاء الرقمي، وإن بدرجة أقل.

ذلك أن الخصوصيات المحدّدة للمجتمع الافتراضي، ينظر إليها بوصفها ميداناً للبحث، سرعان ما بدأت تفرض نفسها بوصفها إكراهات، وحالات استثنائية داخل مسار بحوث الإعلام والاتصال ينبغي التعامل معها، كي تخرج من دائرة الاستثناء لتصبح جزءاً من دائرة البحث الإعلامي، وتفترض هي الأخرى منهجيات أدوات خاصة مكيّفة

---

(١) شادلي عبدالحق، الهجرة الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٢٠م)، ص١٠٠.

(2)Mathias, Paul (2008), Des Libertés numériques: Notre libertés est–elle menacée par l'internet? , Paris: PUF, pp. 143-144.

تبعاً لطبيعة ميدان الدراسة . سيظهر في هذا السياق سؤال تجديد المنهج، مع ما سيرافقه من بلورةٍ لمقارباتٍ ومفاهيم جديدة لدراسة إشكالات المجتمع الافتراضي وقضاياه.

انطلقت الأبحاث في هذا الصدد مع نهاية التسعينات؛ حيث اتجهت بعض الدراسات في هذه الفترة إلى اعتبار عناصر البيئة الرقمية أداة تحليلية، وذلك عبر اعتماد مفهوم "البَيْنَصِّية" أو "التناص" في بعده الرقمي، ينظر إليه من زاوية الروابط الالكترونية التي تصل بين "النصوص المتشعبة" Hypertextes ، بينما عمل باحثون آخرون على تكييف مناهج البحث المعتادة مع طبيعة الفضاء الرقمي في إطار مقاربة تكاملية بين المنهجين الكمي والكيفي .

لتظهر إلى الوجود المناهج الرقمية مع ريتشارد روجرز، ويعود استخدام هذا المفهوم من طرف روجرز إلى التغيرات المتسارعة التي شهدها حقل البحث في الميدان الرقمي منذ ظهور شبكات التواصل الاجتماعي، وتطوير منهجيات جديدة تقوم على استخدام أنواع متطورة من التكنولوجيا في تحليل التدفقات المعلوماتية داخل الشبكة العنكبوتية، وستحدد معالم هذا التوجه القائم على رقْمنة مناهج البحث الاجتماعي مع شيوع استعمال مفهوم المعطيات الضخمة Big Data، خاصة مع بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، إذ شهدت هذه الفترة ارتفاعاً في وتيرة استخدام التقنيات العالية في مجالات مختلفة، من أجل معالجة البيانات كميّاً بواسطة الجهاز، بهدف الكشف عن بعض النماذج والاتجاهات، لها ارتباط مباشر بالسلوك الإنساني. (١)

تندرج في هذا الإطار أعمال كريستين هاين التي ألفت كتاباً كاملا حول التمثيل الإثنوغرافي على الشبكة .إن كتابها "الإثنوغرافيا الافتراضية" (٢٠٠٠) يحدد طريقة واضحة ودقيقة من الناحية التحليلية لإجراء البحوث الإثنوغرافية على شبكة الإنترنت .تقول هاين أن الشبكة هي في الواقع "مكان" ، تماما مثل منزل ، مكتب ، أو مركز تجاري .ولكن التحدي الذي يواجهه معظم الباحثين في دراسة الشبكة هو استخدام نفس الفئات التحليلية للأماكن المادية.

تشير هاين إلى أن هناك يجب على الباحث تحديد موقع البحث في الإنترنت، و قد يعرّف باحثي الإثنوغرافيا المبتدئين ببساطة "الويب" كموقع للدراسة ، ولكن هذا غامض مثل تعريف "العالم" كمكان للدراسة .وبدلا من ذلك ، تقول هاين إن الباحث يجب أن يكون على دراية بشأن الموقع الافتراضي للدراسة، أما من الناحية المعاصرة، في حين أنه المجتمعات قد تحالفت وأصبحت أكثر قابلية للتحديد على شبكة الإنترنت اليوم.

إن مواقع الشبكات الاجتماعية على الإنترنت اليوم لديها قواعد مستخدم منفصلة و "مواقع" يمكن التعرف عليها على شبكة الإنترنت .وكما يمكن أن يحدد الباحث الاثنوغرافي الميداني مكان عمل شركة معينة والعمال الذين يعملون هناك كموقع للبحوث، يستطيع الباحث الإثنوغرافي على الإنترنت الآن أن يحدد قاعدة معيّنة من شبكات التواصل الاجتماعية وقاعدة مستعمليها كموقع للدراسة.

إن هذا التوسيع لمفهوم المنهج على المستوى العملي، وتطبيقاته في حقل علوم الإعلام والاتصال هو الذي سيترجمه روجرز مفاهيميا من خلال تمييزه بين المناهج الافتراضية التي تستورد المناهج المتعارف عليها داخل العلوم الاجتماعية والانسانية، وتهاجر بها نحو الوسيط الرقمي ، ثم المناهج الموسومة بأنها رقمية الولادة Web-native التي ظهرت في أصلها داخل بيئة افتراضية(٢)، وسيمضي بهذا التصور بعيدا إلى حدّ الحديث عن نهاية

---

(1)Gandomi Amir & Haider Murtaza (2015), «Beyond the hype: Big data Concepts, Methods, and Analytics,» International Journal of Information Management, vol. 35, no. 2, pp. 137–144.

(2)Rogers Richard (2009), The End of the Virtual: Digital Methods, Amsterdam: Amsterdam University Press, p19.

المناهج الافتراضية، والتدشين لحقبة جديدة للأبحاث الخاصة بالإنترنت، يتم بموجبها تجاوز ذلك الفصل المعهود الذي يقام بين الافتراضي والفعلي، لأن الانترنت، في نظره، لم تعد مجرد موضوع للدراسة، بل مصدرا للتقنيات والأدوات المنهجية أيضا، لذلك سيطرح مفهوم "التجذر الالكتروني".

❖ **الإشكالات المنهجية للتعامل البحثي الإعلامي مع الفضاء رقمي**

هناك العديد من الإشكالات التي تواجه الباحث الإعلامي في تعاطيه مع تطبيق المناهج الافتراضية قصد الحصول على المعلومات من الفضاء الرقمي نذكر منها:

لم يعد المجتمع الافتراضي بهذا المعنى ميدان بحث مُفْرد للباحث المتخصص في مجاله، بل أصبح الباحث "الهاوي –هو الآخر- يقود البحث الإعلامي". لقد أضحت هذه الوضعية تعيد، اليوم، إلى الأذهان صورة حركة الملاحظة الجماهيرية الانكليزية في فترة الثلاثينيات والأربعينيات، حين صار الكل حاملاً مذكرته، يسأل، ويوثق قصص الحياة اليومية وتفاصيلها، ولئن كان الباحثون الهاوون اليوم، لا يتحركون حاملين مذكراتهم، بل يُبْحرون على فضاءات افتراضية (مسلحين) بمحركات بحث وبرمجيات بدقة عالية، في الرصد والحساب، وبناء الخرائط واستخراج المعدلات الإحصائية.

إن الإشكال الذي تطرحه مناهج الاشتغال بالفضاء الرقمي، هو إشكال يرتد في أصله إلى طبيعة المعطيات التي يتعاطى معها الباحث وطبيعة ميدان البحث الذي يشتغل به وداخله بما يسمى بإكراهات البحث.

إذا أراد الباحث الإعلامي اليوم أن ينخرط في دراسة الفضاء الرقمي، فإنه مطالب يا إما بأن يحدد موقعه ضمن هؤلاء، ويقبل بفكرة تقسيم الأدوار، وإما بأن يمرن نفسه على استعمال مناهج البحث الرقمية التي أصبحت تحتكرها نخبة معينة من المتحكمين في رأس المال المادي والمعرفي.

إن حضور الباحث الإعلامي في الفضاء الرقمي أثناء إجراء دراسته هو حضور متقطع، فهو يتواصل وينقطع مدة معينة ويعود للتواصل، مما يؤدي إلى فقدان بعض المعطيات التي جمعها مسبقا عن موضوعه هذا لو علمنا أن المعطيات في الفضاء الرقمي تتجدد وتتغير ويتم تحيينها باستمرار.

❖ النتائج ومناقشتها

لقد خلص الباحث إلى الاستنتاجات الآتية نذكرها:

١- أن بحوث الإعلامية والاتصالية شهدت عوائق ابستمولوجية مختلفة، فيما يخص تبني المناهج العلمية المناسبة، وتطبيقها.

٢- أن الإعلام المذكورة آنفا حيث شهد الإعلام أوج تطوراته التقنية في خصوصا مع المرحلة الرابعة ، أفرزت العديد من التأثيرات و الظواهر الإعلامية المختلفة مما دعت الحاجة إلى تكثيف البحوث الإعلامية بغرض إيجاد سبل علمية كفيلة بإيجاد إجابات مقنعة قصد معالجتها ، باستخدام مناهج و أدوات بحثية مختلفة.

٣- يبقى العائق الإبستيمي الكبير الذي يقف أمام تطور علم الإعلام هو ارتباط الظاهرة الإعلامية بالنشاطات المتنوعة للإنسان و المجتمع جعلها موضع العديد من الاهتمامات العلمية

٤- يبقى تجديد المنهج في البحث العلمي في الإعلام والاتصال مرتبط بطبيعة الإشكالات المدروسة في الفضاء الرقمي ودرجة أهميتها.

٥- قد يصادف الباحث الإعلامي عدة عوائق في تعامله مع الظاهرة الإعلامية في الفضاء الرقمي، كونه فضاء مرتبط بالخوارزميات، وكونه كذلك فضاء يتشكل من خلال المعطيات المتجددة والآنية المبنية على التحيين المستمر لها.

هذه النتائج تعكس بعض العوائق والتحديات التي تواجه البحوث الإعلامية والاتصالية في تحقيق تقدم علمي. ويمكن مناقشة كل نتيجة على حدة على النحو التالي:

العوائق الابستمولوجية: تشير هذه النتيجة إلى وجود صعوبات في اعتماد المناهج العلمية المناسبة في بحوث الإعلام والاتصال. قد تكون هذه الصعوبات ناتجة عن تعدد النظريات والمفاهيم المختلفة التي يمكن استخدامها في دراسة الإعلام، والتحدي الذي يواجه الباحث في اختيار المنهج الأنسب لبحثه. يمكن أن يكون هناك أيضًا تحديات في تطبيق المناهج العلمية بشكل صحيح وموثوق.

تطورات الإعلام التقنية: تشير هذه النتيجة إلى أن الإعلام قد شهد تطورات تقنية هائلة، خاصة مع التقدم نحو المرحلة الرابعة من الثورة الصناعية. هذا التقدم التكنولوجي أدى إلى ظهور ظواهر إعلامية جديدة وتأثيرات متعددة. لذلك، هناك حاجة ملحة لزيادة البحوث الإعلامية وتكثيف الجهود العلمية لفهم هذه الظواهر والتعامل معها. من خلال استخدام مناهج وأدوات بحثية متنوعة، يمكن تحقيق تقدم في فهم تأثيرات هذا التطور التكنولوجي على المجتمع والفرد.

العائق الإبستيمي والاهتمام العلمي: تشير هذه النتيجة إلى الارتباط الوثيق بين الظاهرة الإعلامية ونشاطات الإنسان والمجتمع. تلك العلاقة المعقدة جعلت الإعلام موضوعًا للاهتمام العلمي والبحث العلمي الشامل.

❖ خاتمة:

يُلاحَظ أن بحوث الإعلام والاتصال تواجه عدة عوائق ابستمولوجية تتعلق بتبني المناهج العلمية المناسبة وتطبيقها بشكل صحيح. تطورات الإعلام التقنية، خاصة في الفضاء الرقمي، أدت إلى ظهور تحديات جديدة وتأثيرات متعددة تتطلب تكثيف البحوث الإعلامية للتعامل معها. ومع ذلك، يبقى العائق الأكبر هو ارتباط الظاهرة الإعلامية بنشاطات الإنسان والمجتمع، مما يتطلب مزيدًا من الاهتمام العلمي والبحث العميق.

من المهم تجديد المنهج في البحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال لمواكبة التحولات في الفضاء الرقمي ومعالجة الإشكاليات الحالية والمستقبلية بطرق فعالة. ينبغي أن تتضمن هذه المنهجيات البحثية استخدام أدوات وتقنيات متقدمة لجمع وتحليل البيانات والمعلومات المتغيرة والتحديث المستمر لها.

من أجل تطوير فهمنا للإعلام وتأثيراته، يجب أن يكون هناك التزام بالبحث العلمي العالي الجودة وتبني مناهج تعتمد على المعرفة والنظرية القوية. يتطلب ذلك تعاونًا وتبادلًا للمعرفة بين الباحثين والمؤسسات الأكاديمية والصناعة والمجتمع، للوصول إلى إجابات مقنعة وتطبيقات فعالة تلبي احتياجات وتحديات العالم الإعلامي الحديث.

❖ قائمة المراجع:

المراجع بالعربية

١) أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠١٠م).

٢) بياجيه جان، الإبستمولوجيا التكوينية ، ترجمة: السيّد نفادي ، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٤م).

٣) توماس كون، بنية الثورات العلمية ، ترجمة: شوق جلال ، عالم المعرفة ، العدد:١٦٨، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ١٩٧٨م .

٤) حسن سعد، براديغمات البحوث الإعلامية(الإبستمولوجية –الإشكاليات- الاطروحات)، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠١٧م).

٥) شادلي عبدالحق، الهجرة الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٢٠م).
٦) غادة الإمام، جاستون باشلار جماليات الصورة، (بيروت: التنوير للطباعة و النشر،٢٠١٠م).
٧) غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل العوا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ١٩٨٣م) .

Funding
No funding received for this work

Conflicts Of Interest
None

Acknowledgment
None

References:

1) Ahmed Ben Morsli, Scientific Research Methods in Media and Communication Sciences, (Algeria: Office of University Press, 2010) .
2) Gandomi Amir & Haider Murtaza (2015), «Beyond the hype: Big data Concepts, Methods, and Analytics,» International Journal of Information Management, vol. 35, no. 2.
3) Gaston Bachelard, New Scientific Thought, translated by: Adel Al-Awa, (Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1983).
4) Ghada Al-Imam, Gaston Bachelard, The Aesthetics of the Image, (Beirut: Al-Tanweer Printing and Publishing, 2010).
5) Hassan Saad, Paradigms of Media Research (Epistemology - Problems - Theses), (Beirut: publisher: Al-Manhal Lebanese, 2017).
6) Jean Piaget, Formative Epistemology, translated by: Al-Sayid Nafadi, (Damascus: publisher: Al-Takween, 2004) .
7) Mathias, Paul (2008), Des Libertés numériques: Notre libertés est–elle menace par l'internet? , Paris: PUF.
8) Rogers Richard (2009), The End of the Virtual: Digital Methods, Amsterdam: Amsterdam University Press.
9) Chadli Abdelhak, Virtual Migration via Social Media, (Cairo: publisher: Al-Fajr, 2020).
10) Thomas Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, translated by: Shawk Jalal, The World of Knowledge, Issue: 168, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters, 1978).